

المكان في النص الشعري بين الانفصال والاتصال قصيدة طريق دمشق لمحمود درويش نموذجاً

سعدية بن يحيى*، جامعة زيان عاشور بالجلفة sadiabenyahia@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/ 31

تاريخ القبول: 2024/10/ 26

تاريخ الاستلام: 2024/07/ 01

ملخص:

يهدف المقال لدراسة المكان في النص الشعري في قصيدة طريق دمشق لمحمود درويش. وهذا من خلال تسليط الضوء على مكون المكان وتبيان مدى دوره في بناء العمل الأدبي. حيث قسمنا الدراسة لجانبين، جانب نظري يتناول مفهوم المكان بناءً على الحقل الذي ينتمي إليه كما أدرجنا أهميته كمكون فعال في النص الشعري والسردى بإدراج مجموعة من الآراء النقدية التي تثمن دوره. في حين ركز الجانب التطبيقي على مجموعة من النقاط أهمها: قراءة في عنوان القصيدة، إبراز الانفصال على الأمكنة من خلال المكان الترابي والانفصال اللوني كما تناول فكرة الاتصال بالأمكنة انطلاقاً من المكان الترابي والمكان المائي. وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الدلالي البنيوي بالإضافة إلى المنهج السيميائي والأسلوبي لنصل في الأخير أن اتصال الأمكنة وانفصالها قائم على ما تؤمن به الشخصية وهو ما يجعل حدود الأمكنة لامتناهية لارتكازها على الدلالة التأثيرية والتعبيرية والرمزية. الكلمات المفتاحية: المكان، الشعر، الشخصية، الدلالة.

Abstract:

This article aims to study the place in the poetic text of Mahmoud Darwish's poem "The Way of Damascus." This is by focusing on the component of the place and showing the extent of its role in building literary work. We divided the study into two sides, a theoretical aspect that deals with the concept of place based on the field to which it belongs, and we also included its importance as an effective component in the poetic and narrative text by including a group of critical opinions that value its role.

The practical aspect dealt with a number of points, the most important of which was a reading in the title of the poem, highlighting the separation on places through the dirt and color separation as well as the idea of Communication from dirt and water.

The study also relied on structural semantic as well as the celestial and physiological methods to determine that the connection and separation of places is based on what the character believes in, which makes the borders of infinite places based on influence, expressionism, and symbolism.

Key words: place, Poetic text, personality, connotation.

Jel Classification Codes: Z11.

* سعدية بن يحيى

1. مقدمة:

يُعد العمل الإبداعي أيًا كان نوعه من أدق الأعمال، فهو لا يقتصر بتفاصيل معينة أو بشروط محددة لأنه عملية معقدة اقترنت بمكتسبات سابقة وارتبطت بمشاعر مبدعها في فترة معينة وفي ظرف خاص. وهو ما أخرجها في وجه مختلف ولو تغيرت مشاعره أو ظروفه لكان نتاج ذلك عمل إبداعي مختلف.

وما يقال عن الأعمال الإبداعية لا يختلف عما تنتجه الأعمال النقدية، فهي الأخرى عمل إبداعي خصوصاً وأنها لا تقتصر بمنهج معين وإن حاول ناقدنا ذلك. فتطافر مكتسباته السابقة وخصوصية العمل الإبداعي هي التي تفرض عليه تحديد نوع الدراسة التي يقتضيها النص المطروح ومحاولاته لتطبيق منهج واحد بكل ما يحمل من خصائص وعادة ما تكون فاشلة. لأن طبيعة العمل الإبداعي بصفة عامة والأدبي بصفة خاصة تستدعي الاستعانة بأكثر من منهج.

ويُعدُّ النص الشعري من أكثر الأعمال الإبداعية تعقيداً لبنائه المتفرد القائم على العناية بالشكل والمضمون لتحقيق الاتساق والانسجام مما يمنحه أكثر من أفق للتحليل والتأويل.

فقصيدة طريق دمشق تُعد من النصوص التي أبدع فيها محمود درويش إذ عالج فيها فكرة المكان من خلال صورة الوطن التي تحولت من مجرد موضوع تطرحه أسطر النص إلى قضية يؤمن بها وتؤمن به عبر جدلية الصراع القائمة بين تمازج الأمكنة وانفصالها وهو ما أظهر وجع الذات بين واقع تراه وآخر تأمله، مما صنع المفارقة في هذا النص ودفعنا لطرح الإشكالية الآتية :

- ماهي تجليات المكان في نص طريق دمشق من خلال ثنائية التمازج والانفصال؟

وهذه الإشكالية الرئيسية أسفرت عن مجموعة من الأسئلة الفرعية ندرج أهمها فيما يلي :

- كيف صور الشاعر محمود درويش المكان داخل النص الشعري ؟
- هل تمكنت الأمكنة المدرجة في القصيدة من كسر قيودها المادية فساهمت في بناء الحدث ؟ أم أنها بقيت حبيسة الإطار التأثيثي النصي ؟
- هل ساهمت الأمكنة في إبراز دور الزمن ؟
- هل تمكن المكان في أن يصبح أحد الشخصيات الفعالة في النص ؟
- وبناء على هذه الأسئلة طرحنا مجموعة من الفرضيات نوجزها فيما يلي :
- المكان في النص الشعري لا يتعدى جانبه الجغرافي التأثيثي .
- تأثير الشخصية على الأمكنة ناجم عما تتطلبه مجريات الحدث.
- للتناس دور فعال في إثراء النص.
- إنفصال الأمكنة وإتصالها مبنيٌّ على ما يحمله النص من دلالة في العبارة وإيحاء في المعنى.

إعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الدلالي البنيوي إضافة إلى المنهج السيميائي والأسلوبي ومرد ذلك لطبيعة النص الشعرية التي اقتضت ذلك، والهادفة لتبيان مدى اتساع النص خصوصاً وأنه قائم على تخيال مفتوح يرتكز على الوجه البلاغي والبياني بهدف الوصول إلى المدلول التأويلي القائم على مستوى الصورة والمفردة.

وعليه فمن جملة أهداف هذا البحث أن يبرز صورة المكان وكيفية نسجه داخل العمل الشعري، وذلك بتحديد أوجهه القائمة على التماثل والاختلاف. إضافة إلى إظهار دور الشخصية ومدى تأثيرها وتأثرها بالأمكنة كما حاول البحث الكشف عن مكون الزمن ومدى تأثيره على الأمكنة بشكل مباشر أو غير مباشر .

ليكون تقسم هذه الدراسة على النحو الآتي :

جانب نظري : يتناول مفهوم المكان وأهميته

جانب تطبيقي : يتناول بداية قراءة في العنوان النقطة الثانية تتناول فكرة الانفصال المكاني من خلال المكان الترابي، والانفصال اللوني النقطة الثالثة تتناول الاتصال المكاني عبر المكان الترابي والمكان المائي . لتكون خاتمة العمل ابرازا لأهم النتائج المتوصل إليها .

2. الجانب النظري

إذا كانت الدراسات النقدية القديمة قد ركزت على الإنتاج الأدبي بمختلف فنونه وأنواعه، فكانت خصائص كل فن تفرض نفسها لتكون موضوعا للدراسة، فالأعمال السردية جلُّ نقدها ينصبُّ حول مكوناتها من شخصيات وأزمنة وأمكنة، وإدراج المفارقات فيما بينها توافقا واختلافا. فإنَّ التركيز على الأعمال الشعرية عادة ما يهتم بدراسة الخيال والإيقاع والموسيقى وبناء صور القصيدة كلفة كانت أو جزئية.

فإنَّ الدراسات النقدية الحديثة قد غيرت هذا المسار وألغت الحدود الفاصلة بين الشعر والنثر على اعتبار أنَّ العمل الإبداعي عمل متكامل يمكن تناوله عبر أكثر من زاوية، فأضحى للرواية إيقاع وخيال جدير بأن يحلل ويدرُس، وأصبح للنص الشعري بناء فني يقتضي الدراسة أكثر من إيقاعه وموسيقاه . خصوصا وأنَّ الشاعر يتقصد أن يقحم متلقيه في عملية القراءة بغية تحويل قصيدته من مجرد نص ممتع ماتع، إلى رسالة لغوية تحمل أكثر من رسالة، عبر بناء أفق يتجاوز أفق توقع متلقيه فيخرجه من كونه طرفا مستهلكا إلى طرف فعَّال ومنتج.

بناء على ذلك سنسلط الضوء على مكون المكان من خلال النص الشعري المعنون بطريق دمشق لمحمود درويش فنتبين تفاصيله ودوره في بناء النص انطلاقا من خاصية التمازج و الانفصال .

1.2 مفهوم المكان:

مفردة المكان مشتقة من الجذر اللغوي " م ك ن وجمعها " أمكنة وأمكن وجمع أماكن الموضع وهو المفعول من الكون، ويُقال هو من العلم. يمكن أي له فيه مقدرة و منزلة، ويقال هذا مكان هذا أي بدله" (معلوف، المنجد في اللغة والأعلام ، 1975، صفحة 771). أما تعريفه الاصطلاحي فقد اتخذ مجموعة من التعاريف المختلفة بناء على الحقل الذي يتناوله . لأنَّ مفهوم المكان بصفة عامة متغير بناء على الحقل الذي ينتمي إليه ، فهو في الحقل الاجتماعي مقترن بالعلاقات الاجتماعية و في الحقل الاقتصادي مقترن بالتعاملات الاقتصادية و في الحقل الفلسفي مرتبط بالعقل و الأفكار في حين لا يتعدى أبعاده المادية في علم الهندسة " أما في الفيزياء عند نيوتن فيقسمه لقسمين مكان نسبي متحرك ، ومكان مطلق مشابه لنفسه ثابت غير متحرك" (شاهين، 2001) .

والملاحظ أنَّ الكثير من الباحثين قد تناول مفهوم المكان فاختلفت وجهات النظر فيما بينهم فهنري متران يرى " أنَّ المكان هو الذي يؤسس الحكيم لأنَّه يجعل القصة المتخيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة، وفي الإطار نفسه يشير جيرار جينيه إلى الإنطباع الذي كونه مارسيل بروسست عن الأدب الروائي إذ يتمكن القارئ دائما من ارتياد أماكن مجهولة متوهما بأنَّه قادر أن يسكنها أو يستقر فيها إذا شاء، ولقد أعطى هنري متران المثال ببلزاك ، الذي يصف شوارع حقيقية تجعل القارئ اليوم يقوم بعملية قياس منطقي، فما

دامت هذه الأحياء والشوارع حقيقية، إذن فكل الأحداث التي يحكيها الروائي هي كذلك تحمل مظهر الحقيقة " (حميداني، 2000، صفحة 65)

أما على مستوى النص فالمكان يلعب دوراً كبيراً في بنائه سواء كان النص شعراً أو نثراً لذا فتميز بعض الأعمال ناجم عن إبراز هذا المكون بوجه مختلف عن كونه مؤطر للحدث، وحسب ويرى لين أولمان " قبل أن تتمكن من كتابة حبكة جيدة، عليك أن تكتب مكاناً جيداً " (Relph, 2015, p. 01) ولا تحول العمل الفني إلى بناء هش مغلق . وفي ذات السياق يرى إبراهيم صحراوي "أن الأمكنة تتجاوز في بعض المواقف وظيفتها الأساسية المتمثلة في كونها إطاراً أو ديكوراً لتصبح عنصراً مهماً من عناصر تطور الحدث" (شاهين، 2001، صفحة 11) في حين ترى جوليا كريستيفا أن الفضاء الجغرافي لا يمكن أن يكون منفصلاً عن دلالاته الحضارية " إذ يتشكل من خلال العالم القصصي يحمل معه جميع الدلالات الملازمة له والتي تكون عادة مرتبطة بعصر من العصور، حيث تسود ثقافة معينة أو رؤية خاصة للعالم وهو ما تسميه أديولوجيم العصر " (حميداني، 2000، صفحة 54). أما الدكتور حميد حميداني في تعريفه للمكان يفرق بين المكان الجغرافي والمكان النصي فيرى " أن الفضاء معادل لمفهوم المكان في النص ولا يقصد بذلك المكان الذي تشغله الأحرف الطباعية ولكن المقصود المكان الذي يصور فيه قصته المتخيلة " (حميداني، 2000، صفحة 54)

وبناء على ما سبق يتضح " أن المكان يؤثر على تجارب الشخصيات وأفعالها " (hejyork, 2018, p. 01) لذلك لا يمكن أن يتقيد بمفهوم واحد، بل يتعدد ليكون نتاج ذلك مجموعة من الأمكنة قائمة بين المحسوس والمدرّك بين المعقول واللا معقول و ثميلاً لا حصراً ندرج ما يلي : المكان الجغرافي ، المكان النصي ، المكان الجسد ، المكان المتخيل ، المركب ، الرمزي ، التأثيري، النفسي ، الإبداعي، الرحمي ، الحدود واللامتناهي المفتوح .المغلق ...

2.2 أهمية المكان:

إنّ الاهتمام بالمكان لم يعد حكراً على الأعمال السردية فقد نال حظوة في الأعمال الشعرية إذ اهتمت به القصيدة العربية قديماً وراحت تصوره بمختلف مظاهره و موضوعاته وأول ما يشدّ إنتباه متلقيها أنّها كانت تستهل به معظم مقدمات قصائدها، فظهر المكان كوجه موازي للطلل رسم الشاعر فيه تجربته المعاشة أو المتخيلة فمنحه مشاعره وراح يسقطها على الطلل، " وكأنّ القصيدة الخالية من الطلل قصيدة ناقصة مبتورة، أو هي قصيدة لم تل من النضج و الاكتمال حظها الأوفر فجاءت عاطلة من دون تلك الإشارة " (مونسي، 2011، صفحة 15) ليتحول المكان من وجه لتذكر الحبية واسترجاع الماضي الجميل معها، إلى وجه حقيقي يماثل الشخصية فتشعر إتجاهه بالفرح والفقد والحزن وهذا ما لمسناه في غرض وصف الطبيعة عند ابن خفاجة وفي غرض رثاء المدن عند أبي البقاء الرندي فلم يعد المكان وسيطاً للتذكر يجمع الشاعر بمحبوبته بل أصبح المكان في حدّ ذاته كائنٌ حيّ يستمد أنفاسه من الشخصية فتبكيه و يبكيها وتشتاقه ويشتاها، فخرج من جغرافيته المادية ليكتسي الدلالة التأثيرية و التعبيرية ، وهو ما منح النص الشعري أفقاً أوسع .

ومع التغيرات التي عرفتها الأمة العربية من استعمار وحروب أهلية، تغير توظيف المكان في النص الشعري فلم يعد جزءاً يتكون منه النص ، بل تحول إلى موضوع وفكرة يدافع عنها الشاعر ويرسم لها أبعاداً تصور واقعه المتردي، فلا يملك إلا أن يتفاعل معها بل ويتبناها في مواضع عديدة ليمنحها رؤى مختلفة .

وعليه فإنّ الإحساس القوي بالمكان من قبل الشاعر " يساعد المتلقي على تحقيق قفزة خيالية إلى عالم آخر سواء كان ذلك العالم في الماضي أو الحاضر أو المستقبل " (https://www.scottishbooktrust.com/articles/five-things-creating-a-sense-of-place, s.d.)

3. الجانب التطبيقي

تُعد التجربة الشعرية عمل فني متميز ففيها يصنع الشاعر عالمه الموازي ليخاطب عالمه الحقيقي، كأثّه وسيط بينهما بل هناك من يرى أنّ الشعر " خلق وإبداع وصناعة فالشاعر صانع ولذلك نجدهم يقرنون الشعر بالصناعات والفنون الجميلة من نحت وتصوير ورقص وموسيقى " (جلابي، 2023، صفحة 13، 14) وعليه فالتجربة الشعرية التي مر بها محمود درويش تُعدُّ فريدة إذ كانت الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة المغذي لها، لما حملته من تمزق بسبب ويلات الحرب و ما نجم عنها من آفات اجتماعية متردية، لم تشمل موطنه فلسطين فحسب بل شملت جلّ الأوطان العربية بداية مع الحرب وصولاً للأزمات السياسيّة التي تحولت في كثير من البلدان إلى حروب أهلية لأسباب حزبية أو عرقية وحتى طائفية.

لذا فمسرح كل هذه الأحداث هو المكان الشاهد و الشهيد على حد سواء، وعليه فتوظيف المكان لم يكن مكوناً تتجلى فيه أحداث القصيدة بل كان صوتاً للقصيدة ومحورها المتحرك، بين دلالة السياق و رمزيته لصنع أيقونات تقفز على عتبتين هما عتبة التمازج والانفصال بين أن يكون المكان منفصلاً عن صوت الشاعر وذاته المتوجعه حيناً ومتصلاً ملازماً لطموحه وغايته فيكون نبضه وامتداداً لمخيلته التي صيرته بعضاً منها يتنفسه في كل تخومه و تضاريسه وبناء على هاتين النقطتين رسمت القصيدة مسارها الدرامي والداامي مصورة طريق دمشق .

1.2 قراءة في العنوان:

إنّ عَنوان القصيدة بالمكان رسالة مشفرة تختصر أوجه الزمن المخفية، ماضٍ حاضر مستقبل، تأملي إبداعي كما أنّه يُقيد الشخصية فلا يظهر منها ما يمكنه مساعدة المتلقي في معرفة دورها في النص ولو بشكل خاطف، ويُعد ذلك تقصّد من الشاعر لأن يضع متلقيه أمام المكون الأساسي في النص ألا وهو المكان، وليوحي له بأنّ دور الشخصية والزمن دور خادم لهذا المكون. مما يوضح أن للعنوان دور وظائفه فعّال لمعرفة فحوى النص .

ارتكز الشاعر محمود درويش في قصيدته " طريق دمشق " على الخيال وصيره وسيطاً يجمع بين الصورة المجسدة كحروف وعبارات وبين الصورة المتخيلة التي تلهم قارئها فتدعوه للتأمل ومن ثمة إلى التركيب والتحليل وصولاً إلى الموازنة بين العنوان المطروح وأسطر القصيدة وذلك بتوظيفه لما يملك من آليات للقراءة .

إنّ المتأمل لعنوان القصيدة " طريق دمشق " سيجدّه مكون من مفردتين هما : طريق / دمشق

تشير كلمة طريق إلى الممر الواسع الذي يقتضيه المسير عادة، لكنّه في هذا النص يعتبر الرحلة التي سيكتبها الشاعر وبمشيها ليس على الاقدام فحسب بل بذهنه وفكره، إذاً فالطريق لم يعد مشياً فحسب، لأنّه تجاوز جغرافية المكان ليشمل فكره وقضيته، فيتضح لنا وجهين للطريق وجه يعكسه المكان الجغرافي، ووجه يعكسه المكان المتخيل الذهني .

دمشق هو المفردة الثانية في العنوان وهي إحدى أهم المدن العربية و أعرقها، بالأمس كانت عاصمة للدولة الأموية واليوم عاصمة لسوريا وبين اليوم و الأمس اختلاف جليّ نستحضر فيه صورتها بين الحاضر والماضي ففي الماضي تألق الزمن فيها

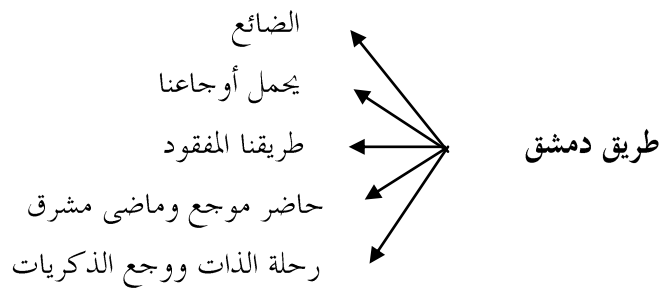
وتركت شخصياته أثرها فيه، فوقع الزمن حضوره على المكان " دمشق " ليُعرف هذا العصر باسم العصر الأموي، عصر صور حضارة وثقافة وبين مدى تمتع أهلها بالأمن والسلام بصفة خاصة ولمنطقة شبه الجزيرة العربية بصفة عامة، وزمن حاضر يصور ذات المكان فيتجلى من خلاله زمن ممزق بترت منه فلسطين وتفككت فيه شبه الجزيرة العربية فرسخت حدودا فاصلة فيما بينها لتصبح دمشق رغم تفككها ملاذا لفكر الشاعر وقلمه .

طريق دمشق حاضر تتعثر فيه أقدام الشاعر بين السير والوجوم، بين الألم والمستحيل بين حاضر يصافح الأمكنة بغية أن تحيا الشخصيات حياة السكينة والأمن . التي عرفتها في الماضي.

وعليه فمفرتي العنوان كبناء نحوي يستدعي فتح أقواس للتأويل مما يؤكد " أن لاوجود لمعنى قار ثابت وإنما هناك تحول دائم، ومن هنا كان النص المفتوح ثورة على كافة المرجعيات، وتخطيما لكل فلسفة تمجد العقل وتؤثر الثبات والمنطق " (جلابي، 2023، صفحة 76) فالعنوان جملة اسمية غيب خبرها.

طريق: مبتدأ مرفوع بالضممة الظاهرة على آخره وهو مضاف ، دمشق مضاف إليه مجرور بالفتحة نابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف.

والخبر هنا محذوف بغية ترك فرصة للمتلقى لتقدير هذا الحذف . وبناء على ماورد في أسطر القصيدة يمكن تأويل الخبر لأكثر من مفردة أو بالأحرى لأكثر من سياق على اعتبار أن للخبر أوجه مختلفة جملة اسمية، وفعلية، شبه جملة متعدد. وبناء على ذلك ندرج التأويلات الآتية :



يظهر لنا الخبر المقدر فكل هذه التأويلات يمكنها إتمام معنى الابتداء ليتضح لنا أن طريق دمشق لا يمكنه أن يختزل بمفردة واحدة لأنه رحلة أمة بأكملها . وهنا نجد الشاعر قد ترك فرصة للمتلقى لأن يكون مشاركا في بناء النص وكما ترى الدكتور بديدة الطاهر أن المتلقى "يصبح مشاركا في عملية الخلق، لا عبر تفكيك دلالات الصورة فحسب، وإنما من خلال إضفاء عناصر أخرى يستمدّها من اسم الكاتب الذي يتصدر النص " (الطاهري، 2015، صفحة 398)

2.3 الانفصال عن المكان :

1.2.3 المكان التراي:

لأسطر النص صدى أنفاس الشاعر فهو جزء من موضوعه ،شخصيته الفاعلة صنعت دراما هذه القصيدة عبر الحوارية التي جمعتها مع المكان " مما يؤكد أن الشخصية ليست هي الشخصية الحية فقط بل قد يلعب الشيء الجامد دور الشخصية فيخرج من صمته وجماده إلى دور يتجاوز دور الشخصية الحية، بل قد يصبح بطل العمل ككل ومرجع ذلك لدى امتلاك الكاتب لتلك المهارات الفنية والحس الابداعي ليجعل من الحيّ جامدا ومن الجامد حيّا " (بن يحيى، 2014، صفحة 44) وهذا ما أخرج المكان في هذا النص من جغرافية المادية إلى جغرافية الجسد ونقل له روحا موازية يخاطبها حيناً ويصالحها ويخاصمها حيناً آخر ، في جملة من المشاعر المتحركة مستعيرا صوت جغرافية المكان في بعض المقاطع لتكملة البناء الدرامي المسفر عن حوار لا يكتمل إلاّ ليبدأ من

جديد، مكونا بذلك حلقات حوارية يتداخل بعضها مع بعض مما يؤكد أنّ الصورة المجازية للعبارة هي جزء ضروري لبناء النص الشعري لصنع صورتيه الكلية و الجزئية. وهذا لا يعني أن الشاعر قد قصر إتجاه مكونات النص الأخرى " لأنّ كل شيء في النص إلّا ولديه معنى" (barthes, 1977, p. 40)

"اغسليني يادمشق بلوني إني خرجت من المهد واللحد" (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024) ينادي الشاعر دمشق متحررا من حدود المكان، إذ يخاطب فيها اللامعقول فحولها إلى روح حيّة، كما أخرج نفسه من حدود الحياة والموت لصنع حياة موازية، ارتقى فيها المكان والشخصية لمكان متخيل ارتكز فيه على تجليات الرمز فإذا بدمشق تبارك حياته الجديدة فكأنه التخلص مما مضى والاحتفاظ بلون " ذاته" ووجهه"، من جديد يوظف الشاعر النداء للانتقال إلى الفضاء المأمول

" دمشق انتظرنّا كي تخرجي منك كي نلتقي مرة خارج المعجزات انتظرنّاك "

(<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024) يدرج الشاعر ضمير الجمع كي لا تصبح أمنية اللقاء خاصة به كذات متفردة فحسب، بل متعلقة بذات متعددة بحكم الرمز فتعكس وجه الجسد والفكر والروح .

وعليه فالشاعر يتحول من كونه فردا إلى كونه أمة ومجتمع بحكم الاختلاف والتعدد الذي فيه، فتتوالد منه كل فئات المجتمع فيضحي صوت الأمة المفقود .بحكم هذا التعدد ..

إنّ اختيار الشاعر لمدينة دمشق دون غيرها من المدن يؤكد أن هناك اختلاف بين الأمكنة يكمن في طبيعة المكان وما يحمل من معاني ويرى نوبل أليس مونرو " أن هناك أماكن قليلة في حياتك، أو ربما مكان واحد فقط حدث فيها شيء ما ثم هناك أماكن أخرى وهي مجرد أماكن أخرى. الإعدادات التي حدث فيها شيء ما هي المكان الذي يتواجد فيه المعنى" (Relph, 2015, p. 01) فدمشق احتزلت معاني عديدة وصيرت غيرها من الأماكن مجرد أمكنة لا تتعدى التأطير الجغرافي خصوصا وأنّ مامرت به لم يشهده الشاعر فحسب بل شهدته الأمة العربية ككل وعليه فدمشق الأمس لا تشبه دمشق اليوم لذا فالشاعر يدعوها للخروج من ذاتها الآنية وواقعها اللحظي لترتدي ما عُرفت به سابقا إذاً هي دعوة تحييّ حيننا للزمن الماضي وإن كان غير مصرح به إلّا أنّه ما يفتأ يذكره.

وعليه فارتكاز الشاعر على دمشق يهدف لإبراز كفتي الزمن الماضي والحاضر لأنّ صورة الزمن تظهر مباشرة على الأمكنة بدليل أنّ المكان الواحد يمكنه أن يظهر بأربعة وجوه مختلفة، ومرد ذلك لتعاقب الفصول الأربعة هذا كوجه مادي أما كوجه دلالي نجد أنّ الشخصية تساهم في إبراز هذه العلاقة وهو ما يبرز دلالة الأمكنة التعبيرية والدلالية والتأثيرية " يقول الشاعر :

"وأنسى الخلافة في السفر العربي الطويل .

إلى القمح والقدس والمستحيل" (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 02)

يغيب الشاعر معالم الماضي ومجده فالنغني به لامتني له في ذات المكان الذي غيب فيه كل متطلبات الحياة ، فأصبح السفر لأجل لقمة العيش أو كما رمز له الشاعر بمفردة "القمح" لأجل دمشق انتهت خلافتها، ولأجل قدس فقدت أمنها وحريتها ، ليتحول السفر في نظر الشاعر إلى المستحيل ، هنا تبرز صورة الانفصال بين مكان حاضر لا يملك مستقبلا وبين الشاعر الذي أثث أمكنته بالدلالة التعبيرية فأصبحت لا تشبه ذاته ولا زمانه .

فدمشق اليوم وجه للألم و التمزق والفقر والرحيل، لتتحول لحظة الحاضر عند الشاعر إلى غربة بينه وبين المكان وحتى بينه وبين مجتمعه، كل ما يعرفه اليوم هو اسم دمشق يقول في ذلك :

" ويسألني الحكماء المملون عن زمني

فأشير حجرا أخضرا في طريق دمشق وأمشي غريبا " <https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024

هنا تناسب كفتي الزمن الحاضر والماضي فيصبح المكان مشوها بلا هوية مكان واجم يتحدى الشاعر فيرفض احتواءه فقد اكتفى بحجارته ، ليعلن الشاعر عن غربته .

" ويسألني الخارجون عن الدير عن لغتي

فأعدُّ ظلوعي وأخطئ

إنني تهجيت هذي الحروف كيف أركبها ؟ دال ميم ، شين قاف .

فقالوا عرفنا دمشق !" <https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 03

هنا تمتد غربة الشاعر ووجعه لحدود جسده ، يتلمس هذا الوجد فلا يدرك مكانه ، هل هو وجع المكان أم وجع الجسد فيكتفي بتفاصيل جسده لتنتفي دمشق من بين جوانحه وهنا يقف الشاعر من خلال الدلالة التعبيرية للمكان بين مكانين اتفقا على اغترابه، جغرافية المكان، وجغرافية الجسد فتظهر روحه بصوت مبوح يتهجأ حروف دمشق .

غربة أثنها زمن نفسي متكرر للحاضر والماضي، يقذف بالشاعر في تضاريس مكان غيب ألوانه فلم يعد يجد إلا بعض عشبه يستند به لعله يستعير صوته ليحجب عن ما لم يستطع أن ينطق به

" ويسألني المتعبون، أو المارة الحائرون عن إسمي فأجهله ..

اسألوا عشبة في طريق دمشق وأمشي غريبا." <https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 03

إنَّ السؤال عن الأرض و الهوية في هذا النص لم يكن حكرا على الكبار، فالفتيات الصغيرات في هذا المقطع قد طرحن على الشاعر ذات السؤال ،ليكون جوابه هروبا منهن ،وهي دلالة أنَّ قضية الانتماء للأمكنة شيء فطري يولد مع الطفولة فيهرم ويشيخ مع الأيام وقد يجهد عن مساره أحيانا بسب ظروف يعيشها الشخص، فيقتل فيه هذه الفطرة فيتذكر المكان للشخصية و تتنكر له ،ليعيش كل منهما مسيرة اغتراب ،وهذا لمقطع يوضح هذا التناقض الذي جمع الزمن والمكان من خلال الطفولة والشباب فمرحلة الطفولة يعكسها " سؤال الفتيات " الذي يجسد عفوية هذا الانتماء ، والمرحلة الثانية " مرحلة الشباب " تجسد التمزق والتذكر لهذا الانتماء .

" وتسألني الفتيات الصغيرات عن بلدي

فأقول أفتش فوق طريق دمشق وأمشي غريبا <https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 03".

هنا تتسع مسافة الانفصال بين الشاعر و المكان لأنَّ ما يشعر به أكبر من هذه الأرض، بل أكبر من جرحه النازف فوجع الانفصال متأث من عدم وجود احتواء لهذه الروح التي يرفضها الجسد و المكان على حد سواء .

" آه ما أصغر الأرض !

ما أكبر الجرح !" <https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 02).

لطالما كانت الأرض أمّا وحيية يشعر اتجاهها الشاعر بالانتماء والحبّ، فينسج قصصه الأجل معها بغية أن تبارك حبّه فيحيا
حيوات متعددة رغم موته فهو العائد إليها حيّا وميتا، إنّ تحول دمشق إلى أنثى يكلمها الشاعر ويناديها. بموجب دلالة المكان الرمزية
منح للنص حضورا ضمنيا للأسطورة بغية القفز على حواجز المكان .

" الحبُّ جاء فجئنا إلى الحرب .

نغسل أجنحة الطير بين أصابعك الذهبية "

إنّ بوح الشاعر ببعض تفاصيل جسد هذه المرأة في كونها تمتلك أصابعا ذهبية يخرجها من المتخيل الواقعي الى المتخيل
اللاواقع خصوصا وأنّ حضورها جاء متزامنا مع الحرب والدم، إنّ انتقال الشاعر إلى الفضاء اللامعقول القائم على نسيج بني شعرية
متخيلة عزز صورة دمشق لتكون عتبة التلقي بين الشاعر ودمشق خطوة تتجاوز ثنائية الحياة والموت .

" يا امرأة لوّثما الزبد العربي الحزين

دمشق الندى

دمشق الزمان

دمشق العرب " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 05)

هي امرأة بذات الاسم بدلالات متعددة، دلالة تفتح أقواسا عديدة تلتقي في ذات النقطة، بأنّ ما آلت إليه دمشق من صنع
أبنائها، وأنّ الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المتردّية التي اقترنت بدمشق ماهي إلّا صدى لأفعالهم ، ليتحول المكان
بموجب ذلك إلى ضحية جلادها الأول أبناء يحملون وزر هذا الانفصال، فيصبح الموت عربونا يقدم لدمشق بغية أن تعيدهم إليها من
جديد فلربما تقل عتبة الانفصال بينهما، يقول الشاعر

" ويحملك الجند فوق سواعدهم

يسقطون على قدميك كواكب

كوني دمشق التي يحملون بها

فيكون العرب " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة

05).

يدعو الشاعر دمشق لأن تتحرر من قدر أوضاعها الاجتماعية والسياسيّة والاقتصاديّة فلا تصبح وجها للموت فحسب ، بل
أفقا للحياة فتمنح للشخصيات زمنا يشعرون فيه بميلاد جديد وإن كان ميلادا سيواجهه الموت وهو استدعاء للزمن التأملي الابداعي
إذ تقفز الشخصية على حتمية الموت والحياة فتحيا لموت ، بغية استعطاف دمشق عليها تنهي انفصالها عنها .

يقول الشاعر " ويبدأ في الشام أسبوع خلقي.

وما أبعد الشام !

ما أبعد الشام عني !

وسيف المسافة حزّ خطاياي .. حزّ وريدي

فقربني خنجران

العدو وموتي " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 05)

في هذه الأسطر تتسع رقعه المكان الجغرافي من دمشق إلى الشام وهي إشارة إلى أن القدر الذي أصاب فلسطين و دمشق
حتما سيصيب الشام ككل ، إذاً هي نظرة استشرافية لما ينتظر هذه الأرض إنّ ادراج الشاعر لصيغة التعجب الاسمية يفصح عن

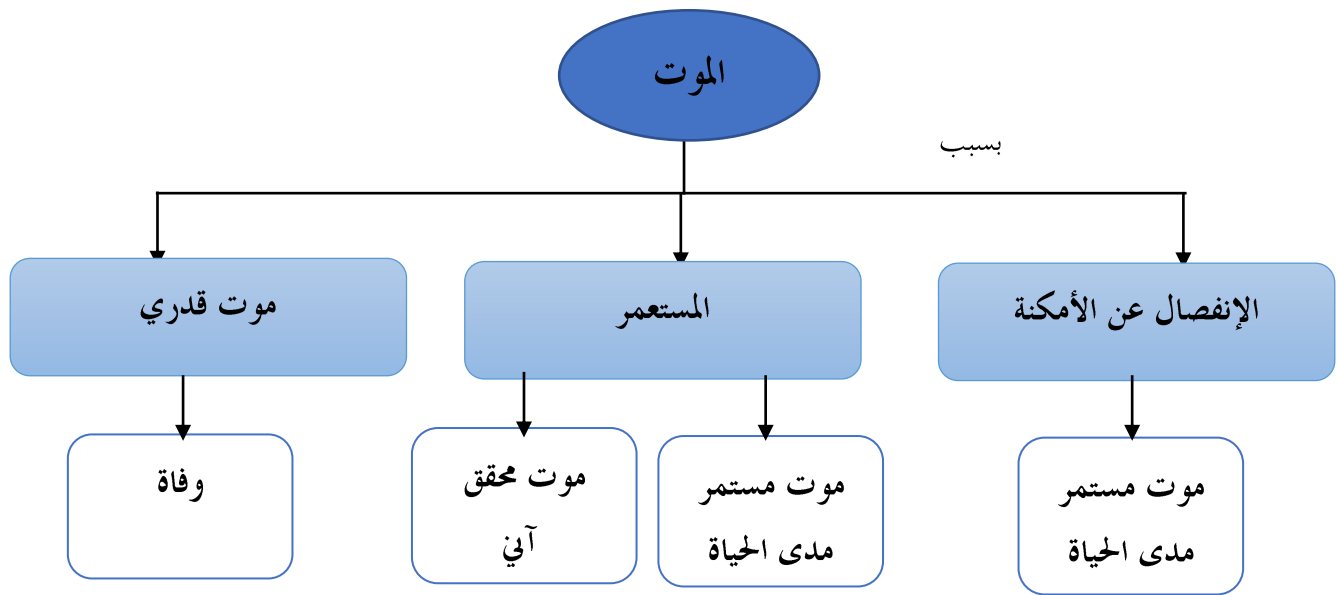
حيرته فهو لا يدري بسبب الانفصال الذي يزداد ويمتد هل مرد ذلك تواطؤ الأمكنة ضد الشخصية بأن تسلبها الانتماء والتوحد فيها؟ أم هو دعوة الذات بأن ترى قدرها الذي أصبحت المسافة سيفه؟

وعليه فالموت متعدد في نظر الشاعر وأكثر الموت وجعا، موته بسبب انفصاله عن الشام وهو موت وجداني يتكرر مع كل لحظة حاضر أو تذكر أو تأمل، فالزمن هنا لا ينتهي منفتح على الوجد المستمر لقوله "حزّ وريدي" إذاً فانفصال الشام ودمشق عن الشاعر وضعه بين فكي الموت لا يستطيع الفكك من شره ليتحول الموت بموجب ذلك إلى خط مستقيم مجهول النهاية. أما الموت الثاني فهو بسبب تربع العدو وهو عدو مشترك للشخصية والمكان، للشاعر وللأرض الشام إنّه المستعمر آياً كانت هويته فهو يمتلك وجهين للموت أحدهما بنفى المواطنين عن أرضهم وهو الأصعب، وهو ما تكبده محمود درويش إذ نُفي عن أرضه موجب قرار جائر حتى أنّه سلبه هوية الورقية. وكأنّ الورق شاهد مزيف أمام ما يمتلكه درويش من وطنية.

أمّا الوجه الثاني للموت فيتجسد بالإبادة والقتل فإذا كانت العقوبة الثانية قد استدلت عليها بسفك الدماء وتعداد الضحايا فإنّ العقوبة الأولى مدركة تجسدها اللحظة الحاضرة المقيدة لأنها موت مدى الحياة.

ليكون الوجه الثالث للموت وهو الأقل وجعا وتوجعا هو الموت القدري إذ يلتقي فيه كل البشر موت يماثل الرحيل بسلام ويمكن أن نلخص ذلك من خلال المخطط الآتي :

الشكل رقم 01: مخطط الموت



المصدر: من إعداد الباحثة

2.2.3 الانفصال اللوني:

ساهم توظيف الألوان في اتساع أفق النص، فلم يعد الوقوف عند دلالة المفردة أمر كاف للوصول إلى المعنى الحقيقي له، بل اقتضت الضرورة لأن نقف عند دلالات الألوان الموظفة فيه سواء بشكل قصدي صريح أو بشكل رمزي مؤول، خصوصاً وأنّ "الرمز يتجلى في تلك العلاقة الموجودة بين الرامز والرموز إليه" (tzvetan, 1978, p. 44) إنّ انفصال الشاعر عن الأمكنة لم يقتصر بالمكان التراخي فحسب بل اتخذ من الألوان انفصالات مختلفة هوائية مثل الجو بصفة عامة، والسماء بصفة

خاصة وانفصالات مائية جسدها الأنهار والبحار انطلاقاً من توظيفه للون . حتى لا يكون ادراجنا لإنفصال الشاعر عن الأمكنة محدداً بجانب من المكان دون آخر.

يقول الشاعر " من الأزرق ابتدأ البحر

هذا النهار يعود من الأبيض السابق

الآن جئت من الأحمر اللاحق

اغسليني يادمشق بلوني

ليولد في الزمن العربي نهار " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة

(01)

إنّ توظيف الشاعر للون الأزرق واعتباره بداية للبحر حكم جرى منه ، فكيف للون مهما كانت قوته أن يكون سبباً لبداية مكان عظيم كالبحر؟ هل لأن الأزرق يحمل قوة لكونه لونا أساسياً مقارنة بغيره من الألوان ؟

ارتبط اللون الأزرق " بالمساحات المفتوحة الواسعة، والتي بدورها تُعزز الشعور بالحرية، وتثير الحُدى، والخيال الواسع، والإلهام والحساسية لدى متأمله فهو لون البحر الواسع، والسماء العالية التي قد تبدو مفتوحةً وواسعةً أيضاً، كما أنّه يحمل معاني عميقة ومؤثرة، ومنها: الحكمة، والاستقرار، والذكاء، والإيمان، وغيرها، ولكن يجب التنويه لأن هُنالك ظلالاً مُختلفة للأزرق قد تُضفي شعوراً بالبرودة،" (n.d., <https://mawdoo3.com/>) وهو ما أظهره هذا المقطع الجامع بين المكان المائي مجسداً في البحر والهوائي ممثلاً في النهار فكلاهما ينفصل عن ذات الشاعر ويصيرانها روحاً تائهة ، بعدما أتعبها ثقل الجسد فتركت تفاصيله و راحت تبحث عن انتماء لكلا الفضائين الراضين لها.

إذا فالشاعر وظف البحر وسلط الضوء على زرقته الدالة على القوة والانفتاح، كما وظف النهار وبياضه الدال على السلام والأمل، فهو أمام هاذين اللونين لا يحمل سوى التوجع والألم فهو القادم من الأحمر وهو إشارة دالة على الدم والتضحية، إشارة للتعذيب الذي لاتزال جراحه نازفة للون الأحمر، هذا اللون الذي يرفض الأزرق الاقتراح به لما يحمله من ضعف خصوصاً وأنّ الشاعر يقف أمام عدو يجعل منه في كل يوم شهيداً جديداً، كما يرفضه اللون الأبيض لاعتباره وجه للسلام والطمأنينة " لأنّه يبعث على الأمل والتفاؤل و الصفاء والتسامح و يدل على النقاء، كما يبعث على الود والمحبة على الرغم من أن هذا اللون يحمل غالباً الدلالات الإيجابية إلاّ أنّه يحمل في الوقت نفسه معنى يقود إلى التشاؤم والاقترب من الخروج من الدنيا" (محمد هزاع الزواهره، 2008، صفحة 77)

إنّ كل هذه الاسقاطات التفاؤلية التي يبعثها اللون الأبيض بعيدة كل البعد عمّا يعيشه و يشعر به الشاعر، لكونه لا يملك إلاّ اللون الأحمر لذا يتمنى أن تغسله لا لشيء سوى لتمنحه فرصة العودة والاتصال بمذنين المكانين بعدما لفظه المكان الترابي، خصوصاً وقد أصبح الشاعر قاتلاً .. وقتيلاً قاتلاً لذاته التي لا تعرف سوى الموت فختار تخطي عتبة الموت فتخلي بموجب ذلك عن جسده ، وقتيلاً لدلالات هذه الألوان لكونه قادم من الأحمر ، فأضحى شاهداً على تنكرها له .

يقول الشاعر : " أحاصرکم : قاتلاً أو قتيلاً .. وأسألکم شاهداً أو شهيداً " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 01)

لاتزال رغبة الشاعر في الاتصال بالأمكنة قائمة، لكنّها أمنية منفصلة عنه لذا نجده يحاول إيجاد سبيل لذلك حتى وإن اقتضى الأمر أن يتبنى ألواناً جديدة، فيستند على ما تحمله من دلالات فيطلب الإتصال مستنداً على رمزية المفردة وإن كانت القرارات السياسية في حق من يمثله نافذة ، لذا نجده يطالب بحق الرجوع لأرضه وإن اقتضى الأمر حياته فاستند على الدلالة التعبيرية و

إسم المؤلف (ين)، سعدية بن يحيى المكان في النص الشعري بين الانفصال والإتصال قصيدة طريق دمشق لمحمود درويش نموذجاً

التأثيرية للأمكنة ليتمكن من الرجوع للوطن، فمهما انفصلت الأنهار عن البحار فحتما ستصب مياهها فيه، هنا يختار الشاعر الانتماء للنهر لعله يحظى بانتماء اللون الأزرق فيعود للبحر بعدما طال نفيه وجبسه .

" متى تفرجون عن النهر حتى أعود إلى الماء الأزرق

أخضر

أحمر

أصفر أو أي لون يحدده النهر

إني خرجت من الصيف والسيف

إني خرجت من المهد واللحد " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع

(2024، صفحة 01)

يشير الشاعر إلى ما آل إليه جراء انفصاله عن الأمكنة وتحديدًا عن دمشق، فراح يطلب اللجوء للبحر مستعينا بالنهر فرآه سجيناً مثله، وكأنّ قدريّة الأشخاص تماثل قدريّة الأنهار لأنّ مياهه محبوسه عن البحر، فهو يتساءل متى يمكن للنهر أن يتحرر فتندفق مياهه للبحر فيمكنه حينها أن يعود للأزرق.

إن منع الشاعر عن وطنه الأم ووقوفه على عتبات أبوابها في دمشق أو بالأحرى في الشام جعله يبعثر كلّ الألوان ولا يهم بأي مسمى يعود يكفي أن يشعر بأنّه يتنفس بعدما مات أكثر من مرة، فهو العائد من السيف والخارج من المهد للحدّ ليدخل حلقة الألوان التي أصبحت تواجهه ظلماً و تعسفا .

" من الأسود ابتداءً الأحمر . ابتداءً الدم

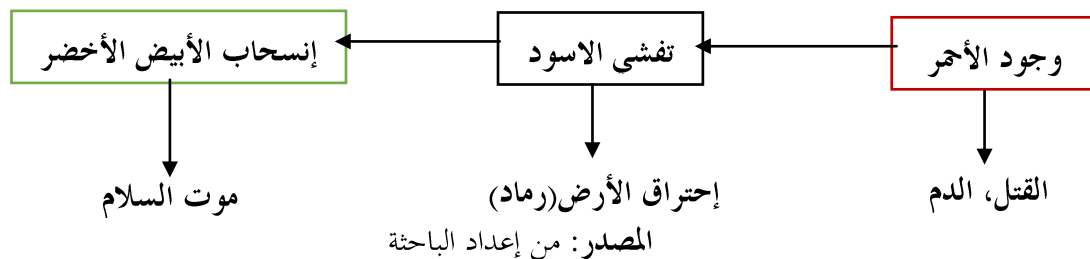
هذا أنا هذه جثتي

أي مرحلة تعبر الآن بيني و بيني

أنا الفرق بينهما " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع (2024، صفحة 02)

لطالما عبر الأسود عن الظلم و الاضطهاد وعكس ما تعانيه الأمة العربية ،التي عاشت حروبا عديدة امتدت لعقود طويلة كان نتاجها ميلاد اللون الأحمر ، فسلطة اللون الأسود تُقصي ألوانا عديدة فتمحى بسببه. فيتلاشى الأبيض وينساب الأخضر باحترق الأرض وتفشى الجوع سيمنح للون الأسود امتدادا لامتناهيا فتصبح الألوان أمام صراع قدري، فتواجه بعض الألوان يستدعي انسحاب بعضها الآخر.

الشكل رقم 02:الألوان أمام الصراع القدري



فالدّم المتدفق لن يكون نتاجه سوى جثة أبت روحها أن تموت، وهنا يمنح الشاعر للأمكنة تضاريس افتراضية متخيلة ينقسم المكان بموجبها إلى حقيقي يحتوى الجثة ويصور الواقع، ورمزي متخيل ترافق فيه الروح نهاية جسدها لتعلن حياة جديدة. ضبابية الملامح فلا تدرى الذات أي زمن تعيش .

"هذه جثتي .. وأنا"

أفق ينحني فوقكم " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 04)

"وهذا أنا... هذه جثتي"

والتحمتنا .. فمروا .. خذوها إلى الحرب كي أُنهي الحرب بيني و بيني

خذوها .. أحرقوها بأعدائها

أنزلوها على جبل غيمة أو كتاب . ومروا " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 03)

بعدما ضاق المكان المائي ورفض انتماء الشاعر، ينتقل للمكان الهوائي فيتحول إلى أفق يتأمل التراب والماء، كما يتأمل جثته بداية، لكن سرعان ما يلتحم معها ليبدأ حرباً جديدة ضدها وضد أعدائها، بعد رحلة الانفصال التي اتحد فيها التراب و الماء ضد لون دمه المسفوك.

3.3 الاتصال بالأمكنة:

1.3.3 المكان الترابي:

لطالما كانت الأرض قضية الشاعر محمود درويش فاكستحت جلّ قصائده وإذا كان النص قد رُسم على محوري الانفصال والاذتصال فإنّ هذا لم يمنع وصول صوت الشاعر ممزوجاً بالأرض لدرجة التقمص فتصبح الأرض جسدها فيتنفسها وتتنفسه بل يرسمها كأنّ شاحنة يختبئ بين ضلوعها لتلده من جديد بعدما دفن في ترابها مرات عدّة .

"دمشق ارتدتني يداك دمشق ارتديت يديك"

كأنّ الخريطة صوت يفرخ في الصخر

نادى وحرّكني

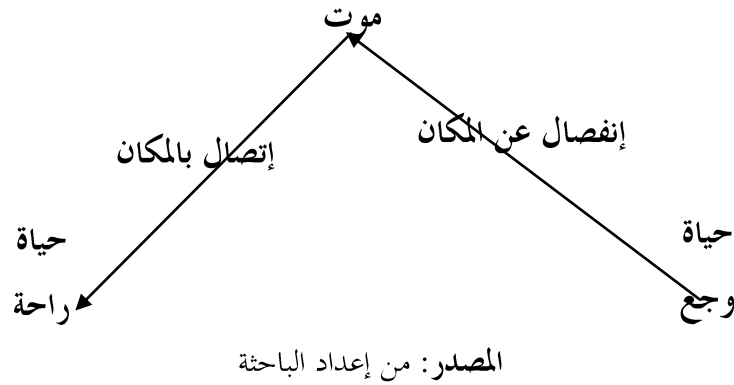
ثم نادى و فجرني

ثم نادى و قطّري كالرخام المذاب " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 04)

يلتقي الشاعر والأرض ليصبها وجها واحد يرتدي كل منها الآخر، لتنعكس ملامحهما على بعض وهنا يتحول المكان فلا يصبح تضاييساً وأبعاداً فحسب، بل يتحول إلى روح حيّة تملك من المشاعر ما جعل الشاعر يفصح عن رغبته في الانتماء إليها بعدما دعت له لذلك فجعلها أمّاً له، وهنا يفتح الشاعر باباً من أبواب التناسل إذ يوظف الأسطورة على اعتبار أنّها وجه من وجوهه لأنّها تجعلنا أمام أكثر من نص " لأنّ النصوص دوماً في حركة وفي تفاعل مستمر يأخذ بعضها من بعض ويمد بعضها من بعض " (السماوي، 2002، صفحة 19) وقد وُظف في هذا المقام الأسطورة التي تؤمن بأنّ الأرض أمّاً لكل الكائنات " فيثولوجيا الخلق تفرض نوعاً من الزواج حدث بين السماء والأرض أو بين إله السماء وإله الأرض. وبسببه ولد العالم كما في التراث الفرعوني والإغريقي ولدت الأرض أم الكائنات كلها وتزوجت اورانوس أو السماء وكانت أم كل الآلهة والمردة والخيرات والشور والفضائل والردائل " (محمد محمود، 2016، صفحة 43). ومن هذه الرؤية الأسطورية يمكن أن نقول وبالإستناد على هذا النص أنّ وجه اللقاء بين الأرض والأم يتجلى في كون كل منهما يحمل ويلد ويمنح بلا حد، فإذا كانت الأولى-الأم- تحبل وتلد فالأرض هي

الأخرى تحمل الفرد منا حياً فتطعمه من خيراتها و تسقيه من مياه ينابيعها أو أنهارها حتى إذا توفى دفن فيها فكان كمن عاد لرحمها منتظراً ميلاداً جديداً، وفي ذلك سخرية من وجع وهول الموت لأنه في الأخير يموت ليحيا بسبب اللقاء بعدما كان حياً ميتاً بسبب الفراق .

الشكل رقم 03: الموت بين انفصال المكان واتصاله



تتحول هذه الأرض من أم يحبها أولادها إلى معتقد يؤمنون به ليصبح الإتصال بها وجهاً مشتركاً للقاء الأمكنة " المكان الجغرافي " المكان الجسد " فيتلاحم الشاعر والأرض ليصبحا روحاً واحدة.

" وكنت العقيدة

وكنت شهيد العقيدة

وكنت تنامين داخل جرحي

وفي ساعة الصفر... تم اللقاء

وبين اللقاء وبين الوداع

أودع موتي.. وأرحل " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة 06)

أن يحب الشاعر أرضه فذلك أمر طبيعي، لكن أن تتحول الأرض إلى فكرة ومن ثمة إلى عقيدة دليل على عظمة القضية فالمسألة ليست مطالبة بالاستقلال وليست قراراً استبطان في المكان فحسب، بل أن يتحول الشاعر إلى أرض وتتحول الأرض إلى شاعر فتلغى كل الفوارق بينهما فمدافعة الشاعر عن أرضه هي مدافعة عن نفسه وروحه فإذا اختلفت التضاريس فالروح واحدة.

جسد الشاعر + تضاريس الأرض = اختلاف

روح الشاعر + روح الأرض = تطابق

يقول الشاعر " أفتح جرحي لتبتدئ الشمس

ما اسمي ؟ دمشق ."

يوظف الشاعر رمزية الشمس كوجه للحياة، ويجعل من جروحه سبباً في بدايتها ليبين أن بداية كل حياة نتاج تضحيات لا متناهية وهذه الأخيرة نتاج لميلاد الأوطان فدمشق لم تعرف الحياة إلا بعدما نزل أبنائها فارتوت الأرض بهم فنما عشب دمشق

وسنابل دمشق وهو يحمل نبضهم ، مما يبرز على عمق العلاقة التي وصل إليها الشاعر مع أرضه . وعليه فالموت لم يكن إلا بداية حياة جديدة له في وجه السنابل تارة وفي وجه الأرض تارة أخرى.

يقول الشاعر " وفي جثتي حبة أنبتت للسنابل

سبع سنابل، في كل سنبل ألف سنبل

هذه جثتي ..أفرغوها من القمح ثم خذوها إلى الحرب

كي أنهي الحرب بيني وبين " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع 2024، صفحة

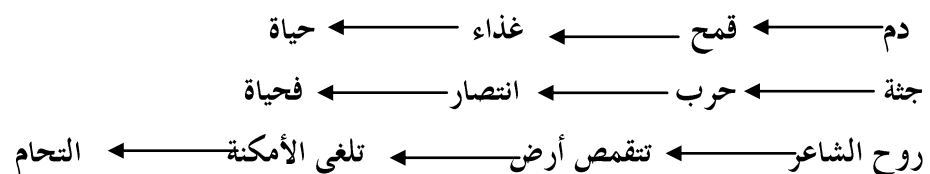
06.

يوظف الشاعر التناص ليمنح للنص تجذرا وعمقا وهذه ليست سمة في هذا النص فحسب فكل النصوص تحمل أثرا لنصوص أخرى وذلك " لأن كل نص بين من خلال الأخذ من نصوص أخرى " (Jouve, 1999, p. 81) ففي هذا النص تجلى أثره في التناص

القرآني الذي نلمسه في سورة يوسف عليه السلام

قال تعالى : "42 وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ 43" (القرآن، الآيتين 42-43) هنا منح التناص للعبارة إيحاء على مستويين على مستوى التوظيف أولا ، ويتمثل في الاستشراق المستقبلي لواقع الشاعر فهو يماثل الرؤية التي حملت استشراقا لشعب مصر، ثانيا على مستوى

الالتحام بين الأرض والشاعر فسنابل الأرض قد ارتوت من دمه ليوصل شعبه الحياة على اعتبار القمح مصدر غذائي لهم فهذه تضحية وحتى جثته التي افرغت من دماها وتحولت إلى مكان يمنحها للأرض كي تكمل نضالها و حربها فالشاعر تجزء بحكم الدلالة الرمزية للأمكنة.



2.3.3 المكان المائي:

إن التنوع بين الأمكنة و توظيفها في مستويات مختلفة منح للقصيدة إيقاعا مختلفا بدايته التوازي والتماثل، و نهايته التميز و الاختلاف فإذا كان المكان الجغرافي الترابي قد احتل مساحة نصية معتبرة فإن المكان المائي مساحة أقل إلا أن دلالة توازي دلالة المكان الترابي لوصولها إلى ذات المقاصد التي تعبر عن من ارتباط الشاعر بالمكان أيّا كان نوعه ،بل يحاول في مقاطع عدة أن يلغي الحدود الفاصلة بين المكانين لأتهما يحملان ذات الرؤية الرمزية للانتماء

يقول الشاعر " قلت شيئا وأكملة يوم موتي وعيدي

من الأزرق ابتداء البحر

والشام تبدأ مني أموت

ويبدأ في طرق الشام أسبوع خلقي " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع

(2024

هناك أكثر من اتصال يبرزه هذا المقطع منطلقه من العام ليصل إلى الخاص مبينا أن الجزء يمكنه أن يحتوي الكل من خلال دلالة الأمكنة، فرغم شساعة البحر إلا أن بدايته من اللون الأزرق ، هنا اللون يتغلب على المكان لأن الشاعر اعتبرته أيقونة بصرية دلالة ولا منتهية فهي مؤنثة للأمكنة متجاوزة لحدودها .إذا تحقق هذا المعنى عبر المكان المائي خصوصا وقد قام الشاعر بأنسنته .

" فالذات الإنسانية المبدعة تقوم أثناء الأسننة بعملية إسقاط نفسية لمشاعرها وعواطفها وخصائصها على الموضوع الذي تؤنسنه مما يجعله يتوازى ويتماها مع الذات العاقلة ، ولذلك تصبح الذات غير عاقلة عاقلة " (مرشد، 2002، صفحة 08) وبناء على ذلك قام الشاعر باسقاط هذا المعنى بالاستناد على رمزية الجسد فاعتبر هذا الجسد المنهك و المحدد بداية الشام ، وعليه لم تعد الشام أرضا و جغرافيا بموجب ذلك بل تحولت إلى لحم و دم ونبض، فبؤفة الجسد تحيا الشام من جديد ويتجدد ميلاد الشاعر فهو لم يمت إلا ليحيا فيها من جديد، فيكون الالتحام مزدوجا مرة لكونه سببا لوجود الشام، وأخرى لأنه سيحيا من جديد فيها فيبعث .فهو الوالد و المولود فيها.

يحاول الشاعر صنع تصالح مزدوج بين المكان والزمن بعد مسار دامي ودرامي شهدته الشخصية

يقول الشاعر " ما أجمل الشام !لولا الشام

وفي الشام

يبتدئ الزمن العربي وينطفئ الزمن الهمجي" (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع

(2024)

بصيغة التعجب يهدئ الشاعر الصراع ويُفصح عن بداية جديدة كلّها أمل في أن ينتهي زمن الصراع والتقاتل ليبدأ زمن كله أمن وسلام، فوطننا العربي يستحق هذه البداية الجديدة لذا اطلق عليه الزمن العربي،و كآته بذلك يحكي كل التهم المنسوبة لهذا الشعب ليبين أن الزمن الهمجي ليس وجهها حقيقيا للزمن العربي وأن كل عنف و قتل و ترحيل بعيد عن عروبتنا .
يختتم الشاعر نصه بقوله " وأمشي أمامي ويولد في الزمن العربي نهار قصيدة " (<https://www.aldiwan.net/poem8998.html>)، تاريخ الاطلاع (2024، صفحة 06) .

هنا يتضح طريق دمشق أمام الشاعر فلم يعد طريقا تمشيه الأرجل فحسب، بل تمشيه الطموح و الأمنيات فالشاعر يستبق رجليه بآمانيه وطموحه وحلمه ويتحول زمنه الهمجي إلى زمن آمن ،بعدها كان زمنا للصراع و التناحر فيتصالح الزمن الآني مع اللحظة الماضية فيخرج الزمن من إطاره الفيزيائي إلى إطار ابداعي يلهم فيه شاعره ،فتولد قصيدته في النهار، وهنا يتحول النهار إلى رمز للبدايات المشرقة التي أزال و شاح خوفها وعليه فهو تلميح ضمني بأن الزمن الإبداعي نتاج تصالح للشخصيات والأمكنة والأزمنة.

4. خاتمة:

يعد نص طريق دمشق لمحمود درويش نص ثري تمكن من ابراز قضية الوطن و ما يعانيه الشعب المحتل في ظل جبروت المستعمر فكأن صوت الشاعر صدى لصوت الأمة العربية التي تأمل لنيل حريتها فيستعيد المكان قدسيته ووظيفته لتتحدد معالم الوطن التي ينبغي أن تكون ،وهو ما دفع الشاعر لتغير مكون المكان من مجرد مكون للنص الشعري إلى قضية في حد ذاته وهو ما منح الدراسة النتائج الآتية:

- تمكن المكان في قصيدة طريق دمشق من الخروج من جغرافيته الجامدة ليتشرب جلّ دلالات التعبيرية والتأثيرية والرمزية

- أثت الشاعر محمود درويش المكان بألوان مختلفة وخصه بأيقونات شمية وبصرية وسمعية .
- ساهم الصراع في صنع مستويات الحوار داخلي وخارجي من خلال صوت الشاعر .
- منح التناص كثافة إيحائية للقصيدة فجمع بينها وبين النص القرآني . كما منح للأسطورة حضوراً مح للمكان والزمن رمزا وإيحاء
- إنفصال الأمكنة وإتصالها مبني على ما يحمله النص من دلالة في العبارة وإيحاء في المعنى
- تأثير الشخصية على الأمكنة ليس مقترنا بما تقتضيه مجريات الحدث، فحسب بل بما يحمله المكان من دلالة مما يجعل التأثير مزدوجاً "تأثر المكان على الشخصيات" وتأثير الشخصيات على الأمكنة .
- ابرز محمود درويش فكرة الوطن بوجه مختلف إذ اخترق الشخصية فأضحى جزءاً منها تتنفسه ويتنفسها.
- لخصوصية العمل الشعري بناء وتركيباً لا يمكن لمنهج واحد ان يستوعبه ليرز خصائصه مما يستدعي الاستناد على أكثر من منهج.

5. قائمة المراجع:

• باللغة العربية

1. القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية 42/43
2. لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام ، دار المشرق، الطبعة 22. 1975.
3. أحمد السماوي، التطريس في القصص إبراهيم الدرغوثي نودجا، مطبعة التفسير الفني، صفاقس، تونس ط4، 2002.
4. أسماء شاهين، جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا ، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2001.
5. بديعة الطاهري، السرد وإنتاج المعنى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة. 2015.
6. بديعة الطاهري، السرد وإنتاج المعنى، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة، مصر، 2015.
7. حبيب منسي، فلسفة المكان في الشعر العربي - قراءة موضوعاتية جمالية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. 2011.
8. حميد لحميداني، بنية النص السردى - من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر، الدار البيضاء، المغرب. 2000.

9. سعدية بن يحيى، دلالة المكان في الرواية الجزائرية، رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي نموذجاً -دراسة تطبيقية -دار الضحى للنشر والاشهار الحلفة الجزائر ط1 2014.
10. ظاهر محمد مزراع الزواهره، اللون و دلالاته في الشعر -الشعر الأردني نموذجاً-، دار الحامد، عمان، الأردن، 2008.
11. فرح حمد محمود، البنية السردية في النص العجائبي، دراسة في القص العربي حتى نهاية القرن السابع -معالجة فنية تحليلية-، مؤسسة حورص الدولية، الاسكندرية. 2016.
12. محمد جلابي، مباحج القراءة و غواية التأويل -دراسة نقدية -، وهج للإعلام، والثقافة والفنون المسيلة، الجزائر. 2023.
13. مرشد أحمد، أنسنة المكان في رواية عبد الرحمان منيف، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية 2002.

• المراجع الأجنبية:

14. barthes, R. (1977). introduction a l'analyse, Structurale des réciits in poétique du récit. Paris: Seuil.
15. Relph, E. (2015). PLACENESS, PLACE, PLACELESSNESS .
16. Relph, E. PLACENESS, PLACE, PLACELESSNESS. 2015
17. tzvetan, T. (1978). Symbolisme et interpretation. paris: aux éditions du sevil.
18. Vineet Jouve, La poétique du roman, sedes, France, 2em édition. 1999.

• المواقع الإلكترونية

19. <https://www.scottishbooktrust.com/articles/five-things-creating-a-sense-of-place>
20. <https://www.aldiwan.net/poem8998.html> محمود درويش الديوان، 2015
21. hejyork, Categoriesnature, WritingTagsnature, nature writing, place <https://mawdoo3.com/>